حول الانقسامات الفلسطينية

حسين حجازي

«... الثورة التي تخاف ان تُشَق ليس لها ان تعيش. كم من الانشقاقات حدثت ؟ كلما اختلفنا مع دولة عربية تتبنى حركة انشقاق من بين الفلسطينيين. لكن نحن ثورة عملاقة ...»[1]. بهذه الكلمات الموجزة، اوضح رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، اسباب الانقسامات التي عرفتها الثـورة الفلسطينية. والواقع ان ثمة امكانية منطقية للقبول باعتبار العلاقة الفلسطينية ـ العربية كتفسير لاسباب حالات الانقسام التي وقعت بين صفوف الثورة الفلسطينية. اذ ان التدخلات العربية في شؤون الثورة الفلسطينية شكلت طوال العقود الماضية، ولا تزال تشكل، نموذجاً لواحدة من أشد الحالات الفريدة، التي عرفتها حركات التحرر الوطنية في التاريخ المعاصر. ويكفي، فقط، معرفة ان الثورة الفلسطينية، اضطرت، على مدى عقدين من انطلاقتها، الى الدخول في حرب مواجهة مع ثلاثة جيـوش عربيـة، هي جيوش الاردن ولبنان وسوريا، وهذه البلدان الثلاثة تشكل، مجتمعة، القسم الاعـظم مما يمكن تسميته القوس المحيط باسرائيل، للتأكد من المدلول العميق الذي انطوت عليه العلاقة بين الثورة الفلسطينية والنظم العربية، حيث لا يبدو من قبيل المجازفة القول ان بلدان الطوق العربي، كانت، في الواقع، طوقاً حول الحركة الفلسطينية.

لكن من الوجهـة الموضوعية، لا يكفي رد حالات الانقسام التي رافقت تطور الحركة الوطنية الفلسطينية الى هذا العامل، على أهميته. بل ان هذه الدراسة تسعى الى التأكيد انه اذا كانت جهات عربية متعددة حاولت، في الماضي، ولا تزال تحاول، لاسباب عديدة، شق الحركة الفلسطينية، فان ثمة اشياء كثيرة يجب التوقف عندها حول ما يمكن تسميته بالعوامل والاسباب الكامنة، التي تجعل من هذه المحـاولات مشاريع ممكنة التنفيذ. والواقع، انه يتوجب علينا ان نستبق لكي نحدد، بصورة موجزة، ما هو المقصود بهذه الاسباب الكامنة. وعلى ذلك، فان في الامكان القول ان هذه الدراسة تنطلق من افتراض مسبق يشكل الحجر الاساس الذي تقوم عليه من الناحية المنهجية، والنظرية، ويقوم على رفض اختزال العوامل التي لعبت الدور الاساسي في حصول الانقسام الذي شهدته حركة المقاومة الفلسطينية، وحصرها في اسباب خارجية فقط.

نحن نعتقـد بأن هنـاك عوامـل واسباباً داخلية، تنحصر، أساساً، في الدو الذي يلعبه الفكر السيـاسي، والايـديولوجيا التي تسـهم، من الناحية الموضوعية، في تقديم الاساس لجعل الانقسام احدى النتائج العملية، او الخيارات الممكنة، التي يفضي اليها شكل محدد من الممارسة السياسية والايـديـولوجيـة، في اطار حركة المقاومة الفلسطينية. وزيادة في التوضيح، فان الانقسام السياسي الفلسطيني، كما تجلى، بوضوح خلال عامي ١٩٧٤ و ١٩٨٥، لا يعكس، في الحقيقة ـ بغض النظر عن المؤثرات الاقليمية العربية ـ الا واحدة من اشد حالات الانقسام في الفكر السياسي حدة، بين الاتجـاهين الرئيسين اللذين يميزان الفكر السياسي الفلسطيني: الاول ذو منحى ومضمون عقلاني